المقدمة

الحمد لله الذي نصر عباده المؤمنين، ونشر دينه في مشارق الأرض ومغاربها، وأظهره على الدين كلِّه في العالمين، وتكفَّل بالعزِّ والتمكين لمن سار على نهجه وصراطه الحق المبين، وصلى الله وسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين وأشرف الخلق أجمعين، محمدٍ وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واتبع خطاه إلى يوم الدين. . أما بعد:

فهذه عدد من المعارك الإسلامية المجيدة التي خاضها المسلمون في شهر رمضان المبارك على مدار التاريخ الإسلامي، وقد جُمعت في الأصل وأذيعت في برنامج رمضاني من إذاعة القرآن الكريم من الرياض في عام ثلاثة عشر وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية الشريفة، وأشار علي عدد من الإخوة الكرام بإخراجها في كتاب تعميماً للفائدة. وها هي تخرج اليوم عسى الله أن ينفع بها ويجعله عملاً خالصًا لوجهه الكريم إنه سميع مجيب.

د. عبد العزيز بن راشد العبيدي

الرياض، الأول من رجب عام ١٤١٤هـ

دوافع الجهاد الإسلامي

تحدثنا في هذا الكتاب عن عدد من المعارك والفتوح الإسلامية التي وقعت في شهر رمضان الكريم، ولا شك أن ما وقع في غير هذا الشهر يجلُّ عن الحصر، فما الذي يدفع المسلمين لهذه الحروب والمعارك، وما الذي أخرجهم من جزيرتهم لتنتشر جيوشهم شرقًا وغربًا، وشمالاً وجنوبًا، فوصلت الصين شرقًا كما وصلت المحيط الأطلسي غربًا، ووصلت باريس وفيينا وبلغراد شمالاً كما انتهت إلى خط الاستواء جنوبًا؟.

هل هو المغنم والفيء؟ أم هو إجبار الناس على اعتناق الإسلام وقَهْرِهم؟

لقد قال بالأول أناسٌ، كما أورد الثاني آخرون، ولكنها إجابا ت من لا يعرف الإسلام وأهله، أو من يعاديه و يعادي أتباعه.

ولذا نجد هذه الإجابات في كتب المستشرقين وأتباعهم وتلامذتهم من أبناء المسلمين المستغربين ولا شك أنها اتهامات جوفاء، أكل عليها الزمانُ وشربَ، ولاكتها الألسن حتى مجَّتها، واتجهت العقول السليمة، للبحث عن إجابات مغنية تشفي وتتفق مع طبيعة الفتوح الإسلامية.

إن من البدهي أنَّ من يبحث عن الغنيمة والسَّلب لا يعمِّر ولا ينهض بالبلاد التي تتعرض لغاراته، ولكننا في الفتوح الإسلامية نجد التعميرَ الحضاريَّ بعد كل فتح، ونجد الازدهار يعمُّ كلَّ منطقة يطأها المسلمون، ونجد النقلة الحضارية لأهل تلك المناطق.

لقد حُرِّرت طبقات في المجتمعات المفتوحة من رق فرضته السلطات الحاكمة عليها قبل الإسلام، بل إنَّ من الحكام من اعتبر شعبه كله أرقاء وعبيدًا له ونصَّ على ذلك في دستوره وقوانينه، فجاء الإسلام ليحرر الجميع.

ولقد انتقل الإسلام بقبائل وشعوب من حياة البهائم والعري والسلب والنهب إلى الحضارة والمدنية، وتحول أبناء تلك القبائل إلى حكام وقادة وعلماء

ومصلحين، فأين السلب والنهب من تلك الفتوح وهذه نتائجها؟

ثم إننا نجد كثيرًا من أبناء المِلَلِ والنِّحَل الكافرة، يعيشون ضمن المجتمع الإسلامي في كثير من المناطق التي فتحها المسلمون، أليس الأقباط في مصر منذ فُتحتْ وإلى عصرنا هذا لم يُجبر أحدٌ منهم على الإسلام، بل إن اليهود عاشوا ولازال بعضهم في بلاد المسلمين في أهنأ حال. وكذلك الهنود وكثير من الفرق الأخرى.

لقد تمتعت هذه الجماعات في الدولة الإسلامية بحرية لم تذقها من قبل، وشاركت في الدولة الإسلامية، فكان منهم الكتبةُ والمترجمون والمحاسبون وربما وصلوا إلى الوزارة.

فأين الإكراهُ والقهرُ من تلك الفتوحِ وهذه ثمارُها؟

ولا يبقى بعد هذا كلِّه إلا الحقيقةُ التي تنطق بها الأحداث، ولا يأباها إلا ذو عقل سقيم أو فكر مشبوه يهدف للدسِّ والتزوير وتزييف الحقائق لخدمة هذه الأغراض.

إنها حقيقة الجهاد الإسلامي وبواعثه وأهدافُه: وهي إيصال دين الله للعالم أجمع وتبليغُه لكلِّ الناس، وإخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، وهذا لا يتحقق إلا بإزالة العوائق التي تحول بين الناس وهذا الدين، والمتمثلة في أولئك الطواغِيتِ الذين يتحكمون في عباد الله، ويمنعون دعاة الله من الوصول إليهم.

لقد كان الدعاة دائمًا يَسْبِقُون الجيوش ليعرضوا دعوة الإسلام على أولئك الحكام ويخيِّرونهم بين الإسلام أو الجزية وإلا قاتلوهم.

والإسلام ليس عقيدة فقط بل هو منهج ونظام وتصور عام لكل جوانب الحياة، ولذا فلا يكفي إبلاغُه للناس بوسيلة البيان فقط، بل لا بدَّ من إزالة كلِّ العقبات من طريقه، ليخاطِبَ وجدان الأفراد وعقولَهم دون حواجزَ أو موانع مصطنعة من نظام الدولة السياسي أو أوضاع الناس الاجتماعية.

إن من حقِّ الإسلام أن يتحرك ابتداءً للجهاد؛ لأنه ليس خاصا بقوم أو وطن معين، ولكنه منهج رباني، ونظام عالمي، ومن حقه أن يتحرك ليحطم الحواجز من الأنظمة والأوضاع التي تقيِّد الإنسان وتحدُّ من حريته في الاختيار. وحسبه أنه لا يهاجم الأفراد ليكرههم على اعتناقه، إنما يهاجم الأنظمة والأوضاع ليحرر الأفراد من التأثيرات الفاسدة المفسدة للفطرة، المقيدة لحرية الاختيار. وعلى هذا فلا صحة أيضًا لمن جعل سبب الفتوح الإسلامية هو الدفاع عن النفس بعد ما هوجِمَت الدولة الإسلامية؛ لأننا بهذا المفهوم الانهزامي نُقَيّد انتشار هذا الدين، فهب أن الدولة الإسلامية لم تُهاجَم ولم يعتد عليها أحد، هل يتقوقع المسلمون بدينهم في جزيرتهم، أو في المدينة فقط، إنه مفهوم خاطئ، تبناه بعض المسلمين، في محاولة للردِّ على المستشرقين وحملاتهم المسعورة ضد الجهاد الإسلامي، فانطلقوا في حياء ساذج يلتمسون أسبابًا مادية لحركة الفتوح الإسلامية، ووجدوها في الدفاع عن الوطن الإسلامي، ولم يعرفوا أنهم بهذا قد جعلوا المنهج والعقيدة أقلَّ من الوطن والأرض، وهذه نظرة غريبة على التفكير والحسِّ الإسلامي؛ لأن العقيدة والمنهج هما الاعتباران الوحيدان في الإسلام، أما الأرض كأرض، فلا قيمة لها ولا وزنَ، وإنما قيمتها مستمدة في التصور الإسلامي من سيادة منهج الله سبحانه وتعالى وسلطانه فيها، وبهذا تكون مَحْضَنَ العقيدة، وحقل المنهج، ودار الإسلام.

يقول سيد قطب رحمه الله:

«يجب ألا تَخْدَعَنا حملات المستشرقين على مبدأ الجهاد فنروحُ نبحث عن مبررات أدبية خارجة عن طبيعة هذا الدين في ملابسات دفاعية وقتية».

«إن الغربيين جرت عادتهم على أن يعبروا عن كلمة الجهاد بالحربِ المقدسة إذا ترجموها إلى لغاتهم، وقد فسَّروها تفسيرًا منكرًا وتفننوا فيها، فأصبحت كلمة الجهاد عندهم عبارة عن شراسة الطبع والخلق والهمجية وسفك الدماء، ورَبَّوا

أجيالهم على هذا المفهوم للجهاد، حتى أصبح الفردُ منهم كلما قرعت أذنه كلمة الجهاد تخيل مواكبا، من الهمج المحتشدة، مُصْلَتَةَ السيوف همُّها الفتك والنهب تنادي بأصواتها «الله أكبر» إذا رأت كافرًا أخذت بتلابيبه وخيَّرته بين أمرين: الإسلام أو القتل».

إنها صورة مشوهة يجب أن نزيلها، وألا تعيقنا عن الجهاد، فلدينا من الآيات الكريمات ما يدحضُ هذا ويزيله.

قال الله تعالى: ﴿**فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيُقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرًا عظيمًا**﴾ الآية ٧٤ من سورة النساء.

وقال تعالى: ﴿**قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين، وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير**﴾ الآيات ٣٨، ٣٩ من سورة الأنفال.

وقال تعالى: ﴿**قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون**﴾ الآية ٢٩ من سورة التوبة.

المصادر والمراجع:

- ابن قيم الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد جـ ٣ ص ٧٠ وما بعدها تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرنؤوط

- سيد قطب: في ظلال القرآن، تفسير سور الأنفال.

سرية(*) حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه رمضان في الشهر السابع من الهجرة

بعد أن استقر رسول الله ﷺ في دار الهجرة ووضع ركائز الدولة الإسلامية الناشئة ببناء المسجد، والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وعقد العهود مع اليهود، بدأ يناوشُ كفار قريش ويعترضُ قوافلهم التجارية للتضييق عليهم، وقد كان المسلمون متعطشين للجهاد بعد أن أذن الله لهم فيه ردًا على ما فعله بهم المشركون، حيث أخرجوهم من ديارهم وأخذوا أموالهم وحالوا بينهم وبين دعوة الناس للإسلام، ومنعوا من أراد الهجرة أو الإسلام أن يتجه للمدينة. وكانت هذه السرية التي نحن بصدد الحديث عنها أول سرية يبعثها رسول الله ﷺ في شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من مُهَاجَرِه ﷺ وكان هدفُها اعتراضُ قافلة لقريش وفيها أبو جهل بن هشام في ثلاثمائة رجل.

كان قائد هذه السرية هو حمزة بن عبد المطلب عم الرسول عليه الصلاة والسلام، وكان لواؤها أول لواء يدفعه ﷺ، تسلمه حمزة رضي الله عنه من رسول الله، وحمله أبو مرثد كنَّازُ بن الحصين الغَنَوي، وكان هذا اللواء أبيضًا، وسارت السرية المؤلفة من ثلاثين رجلاً كلهم من المهاجرين ليس معهم من الأنصار أحدٌ، واتجهت نحو الساحل وعند العِيصِ (١) التقوا بالمشركين واصطفوا للقتال وكادت المعركة أن تبدأ لولا تدخل مجديُّ بن عمرو الجُهني وكان حليفا للفريقين فحجز بينهم ولم يقتتلوا، وعاد المسلمون إلى المدينة، وعلى الرغم من عدم اقتتالهم إلا أنَّ هذه السرية أدخلت في قلوب المشركين الذعر والخوف، وأدركوا أن رسول الله ﷺ قد تحول وأصحابه من الضعف إلى القوة، وأنهم أصبحوا أندادًا

(*) سمى المؤرخون ما خرج فيه النبي ﷺ بنفسه غزوة، حارب فيها أم لم يحارب وما خرج فيه أحد قادته سرية.

(١) العيص ـ بالكسر ـ مكان بين ينبع والمروة ناحية البحر الأحمر.

لقـريش والمشركين عـامـة، يستطيعـون أن يعترضـــوهم وينـالـوا منهم ويهددوا تجارتهم. ووضع الرسول ﷺ بهذه السرية وما بعدهـا من الغزوات والسرايا نظامًا عسكريًا إسلاميًا متكاملاً حيث شرع مبدأ التضييق الاقتصادي واعتراض قوافل الأعداء ما داموا في حالة حرب مع المسلمين.

وكان دفع اللواء إلى حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنـه إكرامًا له حيث انطلق به في أول سرية للمسلمين، وكان رضي الله عنه شابًـا كله حماسة وشجاعة وحب للجهاد ونصرة الدين، بل إنّ إسلامه كان إعزازًا للدين وتقوية للمسلمين حيث إنه قد رأى مـا ينال الرسول ﷺ، من أذى المشركين وبخاصـة أبو جهل، فدخل المسجد مُغْضَبًا وضرب رأس أبي جهل بالقوس ضربةً أوضحت في رأسه، وأسلم وأعلن إسلامـه فعزَّ به رسـول الله ﷺ ثم هاجر فجـاهد مع المسلمين واشترك في بدرٍ، وكان معلمًا بريشة نعام، وأبلى بلاءً حسنًا حتى أن أمية بن خلف سأل عنه فقال: من الرجل المُعلَّمُ في صدره بريشة نعام؟ فقالوا له: ذلك حمزة فقال: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل، وصدق هذا المشرك فقد قتل منهم حمزة عددًا كبيرًا.

وفي غـزوة أحـد انطلق حمزة رضي الله عنـه يقـاتل عن رسـول الله ﷺ بسيفين ويقـول: أنا أسـد الله ويقبل ويـدبر حتى عشـر عشـرة ووقع على ظهره وبَصُرَ بـه وحشي، وكان يتصيدُه فزرقه بحربة أصابته فاستشهد رضي الله عنه وأرضاه.

ونتيجة لمواقفـه البطولية في سبيل الله فقد كـانت هندُ بنت عُتبة قـد نذرت إن قـدرت على حمزة لتأكلنَّ من كبده؛ لأنـه قتل والـدها يـوم بدر، فلما استشهـد ـ رضي الله ـ عنه مثّلوا به وبقروا بطنه وجاءوا بحزّة من كبده؛ فأخذتها تمضغها فلم تستطع أن تبتلعهـا فلفظتها، فبلغ ذلك رسـول الله ﷺ فقال: «إن الله قـد حرم على النار أن تذوق من لحم حمزة شيئًا أبدًا».

وعلم الـرسول ﷺ بمقتل عمـه، ورآه على هذه الصـورة فحزن لـذلك حزنًـا شديـدًا وأقسم ليأخذن بثأره وليمثلنَّ بسبعين مشركًا، إلا أن الله سبحانـه وتعالى

نهاهُ عن المُثْلة، فامتثل أمر ربه، وقال حين رآه: رحمة الله عليك فإنك كنت ما عَلِمتُ وصولاً للرحم فعولاً للخيرات ولولا حزن من بعدك عليك لسرني أن أتركك حتى يحشرك الله من أرواح شتى وجيء بجسد حمزة وقد مزقته السيوف وقطعته الرماح، ولم يجد المسلمون ما يكفنونه به حيث كان معه نمرةٌ إن وضعت على رأسه بدت رجلاه وإن وضعت على رجليه ظهر رأسه، وصلى عليه الرسول ﷺ ودُفن بجوار أحد، ووقف رسول الله ﷺ بين ظَهْرَانيِّ القتلى فقال: أنا شهيدٌ على هؤلاء، لفُوهم في دمائهم فإنه ليس من جريح يجرح في الله إلا جاء جرحُهُ يوم القيامة يدْمي، لونه لون الدم وريحه ريح المسك، قدموا أكثرهم قرآنا فاجعلوه في اللحد.

ونزل في شهداء أحد قوله تعالى: ﴿**ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا، بل أحياءٌ عند ربهم يرزقون**﴾ الآية ١٦٩، آل عمران.

رضي الله عن أسد الله حمزة بن عبد المطلب قائد أول سرية في سبيل الله في شهر رمضان بعد سبعة أشهر من هجرة المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.